Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من هؤلاء الشعراء ، ترفعا عن أن يظن فيه التكسب بالشعر وامتهانه . ولم يحتفلوا بها لذاتها ولتوفر دواعيها وأسبابها .

ومن ثم يلاحظ الناظر فيما وصلنا من خطابتهم - على تشكك فى صحة نصه - أنه توقف عن التطور والنمو ، فلم يكن الخطيب يطمح فى أن يصل من سامعيه إلى أكثر مما يصل إليه الشاعر منهم . وطالت قصاراه أن يستحوذ على قلوبهم ، ويملك مشاعرهم ، دون أن يهتم بأن يتجاوز التأثير إلى الإقناع ، لأن التصد إلى الإقناع يحتاج إلى التدبر قبل الكلام ، ومراجعة ما يقال ، وترتيب الحجج ترتيبا تقع به فى مواقعهـــا . . . إلى غير ذلك .

فالخطابة الجاهلية كانت إلى الشعر أقرب ، ولولا تحلل الخطيب من بعض قيود الشعر لكانت شعرا ، لأن أفكارها ومعانيها وأغراضها كانت فى أكثرها شعرية، فإذا ما تحقق فى مبناها البناء الشعرى أصبحت الخطبة قصيدة بكامل مفهومها .

* * *

ومن يردد نظره فيما وصلنا من خطابة تعزى إلى هذا العصر يلاحظ أنها تتميز بخصائص بيئية من أبرزها :

١ - ضيق أسلوبها ؛ فقد أصبح يتردد بين أن يكون حكما وأمثالا يسردها الخطيب لتقوم بدور التأثير ، وبين أن يكون أسجاعا ذات قيود إيقاعية تقترب بالخطبة من الشعر خطوات ، وبين أن يكون أفكارا متباينة لايشدها إلى بعضها إلا رابط نفسى . مثال ذلك ما جاء على لسان هانىء بن قبيصة الشيبانى فى قومه يوم ذى قار ، يحرضهم على القتال :

« يا معشر بكر ! هالك معذور خير من ناج فرور إن الحذر لاينجى من القدر . وان الصبر من أسباب النصر . المنية ولا الدنية . استقبال الموت خير من استدباره . الطعن فى ثغر النحور أكرم منه فى الأعجاز والظهور » .

فهى - كما ترى - جملة من حكم شتى ، لايربطها رابط فنى، سوى التأثير النفسى .

- ومثال ذلك - كذلك - قول الأوس بن حارثة يوصى ابنه مالكا :

« يا مالك ! المنية ولا الدنية ، والعتاب قبل العقاب ، والتجلد ولا التبلد واعلم